أوراق إستراتيجية

2007/2/20

تقرير الإتحاد الأوروبي حول إيران: التفاصيل والنص الكامل

2007/2/ 7

الإتحاد الأوروبي وإيران: المقاربة من خطين

منذ التسعينات،كان الإتحاد الأوروبي يسعى لحث إيران على تغيير سياساتها بالنسبة للشرق الأوسط، دعم الإرهاب، الصواريخ وأسلحة الدمار الشامل، وحقوق الإنسان. وقد تنوعت السياسات الإيرانية وإختلفت، وقامت ببعض التقدم مقابل أسوأ فترات التسعينات، إلا أنّ كل تلك القضايا لا تزال هواجس جدية اليوم.

وتبقى الشراكة أساس الحلول في هذه المجالات، والطريقة الفضلى لتطوير مصالح مشتركة، مثلاً في الطاقة، المخدرات والتجارة وقضايا إقليمية أخرى. إنّ الوسيلة الممكنة لنقاش هذا الأمر هو منتدى الحوار الشامل المؤسس بإعتراف رسمي، والممَثل بخاتمي، والذي لم يُلغى رسمياً مطلقاً، على الرغم أنّ إيران لم تظهر إهتماماً كبيراً بإحياء هذه البنية. إلا أنّ التجربة تعرض إلى أن الشراكة، في كل القضايا، ليست كافية: على الإتحاد الأوروبي أن يكون مستعداً لخلط حوافز وعقوبات، أي مقاربة من خطين.

حقوق الإنسان، المجتمع المدني، والديبلوماسية العامة

إنّ وضع حقوق الإنسان وحالة المجتمع المدني في إيران مستمران بالتدهور. حرية التعبير مقموعة الى حد واسع، وأحياناً بعنف. فعلى سبيل المثال، فرّقت الشرطة تظاهرتين سلميتين لحقوق المرأة في طهران في العام 2006، وأعلن أنّ مركز شيرين عبادي للمدافعين عن حقوق الإنسان، مركزاً لا شرعياً. كما أغلقت لجنة المراقبة للصحافة الإيرانية أربع صحف. وتزايدت القيود على شبكة الإنترنت، كما أعدمت إيران أشخاصاً، وفيهم من الأقليات، في العام 2006 أكثر مما فعل أي بلد آخر ما عدا الصين. وتجاهلت الحكومة مناشدات الإتحاد الأوروبي، مثلاً في قضية إصدار عقوبة الإعدام بحق عشرة من عرب الأهواز من دون السماح لهؤلاء بمحامين أو بمحاكمة مفتوحة، وقد تم تنفيذ الحكم بسبعة منهم.

وحاول الإتحاد الأوروبي الإرتباط مع إيران عن طريق حوار حقوق الإنسان، إلا أنّ الإيرانيين قاموا بإلغاء اللقاءات منذ العام 2004، وليس هناك من دليل بأنّ هذه اللقاءات كان لها وقع كبير، كما لم يكن للنقد العلني تأثير أيضاً، فالإيرانيين لم يحبوا الأمر. أما المقاربة البديلة، فهي الدخول بحوار مع أشخاص بدلاً من الحكومة، كما أنّ الدعم المباشر لناشطي حقوق الإنسان (حيث لا يؤدي هذا الأمر الى تعريضهم للخطر أو الإضرار بقضيتهم)، والمساعدة في مجالات أخرى أقل حساسية، كالمخدرات، البيئة، الصحة، الإنقاذ، يمكن أن تساعد ببناء مجتمع مدني حقيقي.

إنّ إشتمال إيران في برنامج ERASMUS MUNDUS يقدم فرصة لتعزيز التبادل الأكاديمي، وبإمكان الإتحاد الأوروبي تفسير سياسته بشكل أفضل للشعب الإيراني كله.

كما أن الظهور العلني لشخصيات سياسية أوروبية في الإعلام الإيراني والإعلام الناطق باللغة الفارسية- التلفزيون والراديو والإنترنت- قد يساعد. وتقوم بعض الشخصيات في هذه الدول بأخذ المبادرات في هذا المجال. ولدى الإتحاد الأوروبي برنامج تدريب إعلامي ناجح في مناطق أخرى، والذي بالإمكان تكراره في إيران.

- كيف يمكن للإتحاد الأوروبي تطوير تأثيره على حقوق الإنسان في إيران؟

- كيف يمكن وضع الشراكة مع المجتمع المدني قيد الممارسة الأفضل؟ وهل يمكن لأدوات ووسائل المجتمع أن تلعب دوراً أكبر؟

دور إيران الإقليمي

لقد عزز التحول السياسي الأخير في الشرق الأوسط الوعي الذاتي لإيران كقوة عظمى تاريخية، و بأنها المهيمن الطبيعي في المنطقة. وتشعر إيران بقوتها تتعزز بسبب موارد الطاقة لديها، وبرنامجها النووي والتطورات في المنطقة، إلا أنها تشعر أيضاً بالإستهداف، خصوصاً من الولايات المتّحدة، وهي مخاوف مبنيّة على قرن من التدخل الغربي بمختلف الأشكال.

- إنّ الإطاحة بصدام حسين أزال العدو الإقليمي القوي لإيران، وأصبحت إيران قادرة على فرض نفوذها بسبب روابطها مع الحكومة الشيعية الضعيفة في بغداد. فطهران تعلق أهمية كبرى على وحدة العراق (الضعيف). أما وجود القوات الأميركية العالي المستوى في العراق، فليس مريحاً لإيران، لكن الإيرانيين يعتبرون بأنّ الولايات المتّحدة عالقة هناك. أما إحدى أهداف السياسة الإيرانية فهي مشاهدة القوات الأميركية ترحل عن العراق، ولذلك فهي تدعم الجماعات التي تعارض الأميركيين.

- أما في أفغانستان، فإنّ سقوط طالبان وضع حداً أيضاً لنظام كانت إيران تعارضه. فإيران كانت قد أنفقت منذ ذلك الحين مبالغ على مشاريع في البنية التحتية، الزراعة، التعليم والطاقة. إنّ إعادة ما تبقى من اللاجئين الأفغان في إيران والمقدر عددهم بمليون لاجئ، والتعامل مع تهريب المخدرات من أفغانستان لا يزال من الأهداف الهامة. فإيران، على الأقل، على تماس مع جماعات معادية للغرب.

- إنّ إيران هي الداعم المالي والسياسي الأول لحزب الله في لبنان، وتعتبره بمثابة أداة خارجية وكذلك أداة سياسية وأمنية. وخلال حرب لبنان في الصيف الماضي، حافظت إيران على إمدادات أسلحة منتظمة لحزب الله. أما أكثر الأسلحة تعقيداً وفتكاً التي إستخدمها حزب الله في صراعه، فكانت من صنع إيراني أو تم إحضارها من إيران كصواريخ فجر-3، التي أُطلِقت على حيفا.
- أما في فلسطين، فتلعب إيران دوراً مخرباً، بما أنها البلد الوحيد في المنطقة الذي يرفض حل الدولتين. فهي المموّلة الرئيسة والمزود الأكبر للأسلحة للجماعات الفلسطينية المسلحة؛ ومن الممكن أن تكون رمت بثقلها ضد حكومة الوحدة الوطنية (ألقي القبض مؤخراً على جنرال إيراني من قِبل فتح خلال الصدام مع حماس).

لقد قادت كل تلك الأمور الى تحفظ الدول العربية (وإسرائيل) الكبير تجاه إيران. أما بما يتعلق بشعبية أحمدي نجاد على مستوى الشارع، فأمر لا يساعد. وتشعر إيران بالقوة بسبب التطورات في المنطقة، إلا أنها لا تزال تشعر بالحاجة للإعتراف بها. إنّ خطوات نحو الإستقرار الإقليمي، خاصة في MEPP ولبنان، قد يساعد على خلق جو مثمر أكثر بالنسبة للمفاوضات.

- ما هي الإحتمالات، بالنسبة للإتحاد الأوروبي، للتواصل في مناطق المصالح المشتركة. على سبيل المثال، أفغانستان (المخدرات، أمن الحدود) والعراق؟
- هل بإمكان الإتحاد الأوروبي الإرتباط مع إيران بقضايا عالمية من دون شرعنة السياسات وأنشطة التعطيل؟ وهل بإمكانه القيام بذلك في الوقت الذي لا تزال فيه القضية النووية غير محلولة؟

القضايا الأمنية

في غياب الضمانات حول طبيعته السلمية كلياً، يمثل البرنامج النووي الإيراني- و برنامجها الصاروخي معاً- تهديداً أمنياً في المنطقة، و لنظام الحد من الإنتشار النووي الدولي. وتعتبر إسرائيل إمكانية الحصول على قدرات السلاح النووي الإيراني بمثابة تهديد وجودي.

إنّ حجم إيران وقواتها المجهزة جيداً، نسبياً، يعني أنّ طهران اليوم لا تواجه أي تهديد عسكري جدي. أما هاجسها الأمني الرئيسي، فهو هجوم ما من قِبَل الولايات المتّحدة. فالإيرانيين لاحظوا تغييراً في لغة الولايات المتّحدة بشأنهم، بما في ذلك الرسالة الموجهة الى الأمة (خطاب بوش)، والمقاربة الأميركية الأكثر عدائية لجهة التدخل الإيراني في العراق.

ولم تنجح المحاولات لإشراك الإدارة الإيرانية في عملية تفاوض حتى الآن. فأفكار الإتحاد الأوروبي + 3 التي طرحت على إيران في صيف 2006 كان مُلفتة من عدة وجوه- ليس أقلها عرض الولايات المتّحدة البدء بإنهاء عقوباتها بالتدريج. أما الرفض الإيراني، فيجعل من الصعب التصديق- على الأقل بالمدى القصير- بأنّ إيران ستكون مستعدة للتأسيس لظروف إستئناف مفاوضات.

وبالممارسة، وبالرغم من تعليق أنشطة نووية حساسة عقب إتفاق باريس، فقد رخّص الإيرانيون لأنفسهم مواصلة برنامجهم النووي، وكانت الصعوبات التقنية هي العامل الذي حد من البرنامج بدلاً من أن تكون القرارات الدولية أو قرارات الوكالة الدولية للطاقة الذرية هي الحائل دون ذلك. وفي مرحلة ما، علينا أن نتوقع بأنّ إيران سوف تحصل على قدرة تخصيب اليورانيوم بالمستوى المطلوب لبرنامج أسلحة نووية.

لقد كان للقرار الدولي 1737- و قد تم تبنّيه بإجماع عام- تأثير في إيران، لكن لا أهمية تامة له في هذه المرحلة. فالعقوبات التي حواها القرار لها تأثير مباشر محدود، إلا أنها أتت في لحظة الأداء الإقتصادي فيها سيء، ويعود السبب جزئياً الى سوء الإدارة الإيرانية.

أما أحمدي نجاد، فيتعرض للإنتقاد بسبب إرتفاع نسبة التضخم الإقتصادي- تصل النسبة، رسمياً، الى 12%، أما في الواقع، فالتضخم يقترب من 20%. أما النمو الإقتصادي الذي هو بنسبة تصل إلى حوالي 5% سنوياً، فهو لا يلبي الحاجة بخلق فرص عمل. أما الإستثمار الأجنبي فقد نضب، ويعود السبب جزئياً الى القضية النووية وما يرتبط بها (على سبيل المثال، القيود على المصارف الإيرانية، والحذر الكبير لمؤسسات القروض الخارجية). ومن دون إستثمارات جديدة، فإنّ إيران معرضة لأن تصبح عاجزة عن المحافظة على إنتاج النفط على المدى المتوسط، والذي يشكل 50% من مدخول الحكومة.

إنّ المشاكل مع إيران لا تُحَل من خلال العقوبات الإقتصادية وحدها. فإيران كانت قد أظهرت مقاومة كبرى للضغوط الخارجية في الماضي، على سبيل المثال خلال الحرب العراقية- الإيرانية. وقد تستغل الحكومة العقوبات للإستفادة من الشعور القومي أو لإعطاء تفسير للفشل الإقتصادي. ومع ذلك، فإن على إيران أن تفهم بأنّ مثابرتها على هذه السياسات، التي يرفضها المجتمع الدولي، لها كلفة.

وقد وافق الإتحاد الأوروبي على مواصلة العقوبات من خلال الأمم المتّحدة إذا ما إستمر الإيرانيون برفض قرارات لجنة الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومجلس الأمن الدولي، لكنه وافق أيضاً على إبقاء الباب مفتوحاً أمام المفاوضات إذا ما قررت إيران أن تلبي متطلبات القرارات الدولية.

- كيف يكون بالإمكان حث إيران على إتخاذ خطوات للبدء بمفاوضات؟ كيف نستطيع جذب إيران الى طاولة المفاوضات؟
- هل علينا أن نضغط لفرض عقوبات دولية أكبر إذا ما فشلت إيران بالإذعان للقرار 1737؟ وإذا ما كان ذلك، فبأي مجالات؟

إذا كنا نعتقد بأنّ وحدة المجتمع الدولي أمر مهم لمعالجة الموضوع الإيراني، فما هي الطريقة الأفضل للمحافظة على هذه الوحدة؟